حكايات ألف ليلة



حكاية ابن آدم

بقلم: أ. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم: أ. إسماعيل دياب
إشراف: أ. حمدي مصطفى

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

يُحكَى أنَّ طاووساً كانَ يعيشُ معَ زوجتهِ قريباً من البحرِ ، وكانَ ذلكَ المكانُ كثيرَ الوحوشِ والسباعِ ، فخافَ الطاووس على نفسه وزوجته من الموت والضياع ، ولذلكَ بحثا عن مكانٍ آخرَ يعيشانِ فيه ، حتى وجدا جزيرةً آمنةً كثيرة الأشجارِ والثمارِ ، تجرى فيها القنواتُ والأنهارُ ، فانتقلا إليها وقررا العيشَ فيها ..

وما إن استقرَّ الطاووس وزوجتُهُ فى المكان الجديد حتى أقبلَتْ بطَّة ، وحطَّت على تلكَ الشجرة الَّتى يقفُ عليها الطاووسُ وزوجتهُ ، وهى ترتجفُ من شدةِ الفزعِ ، فسألَها الطاووس عن سبب فزعها ، فقالتْ البطَّة :

- إنِّى خائفةٌ من ابنِ آدمَ ، فالحذرَ ثُمَّ الحذرَ من بنى آدم ..

فطمأنَها الطاووس قائلا :

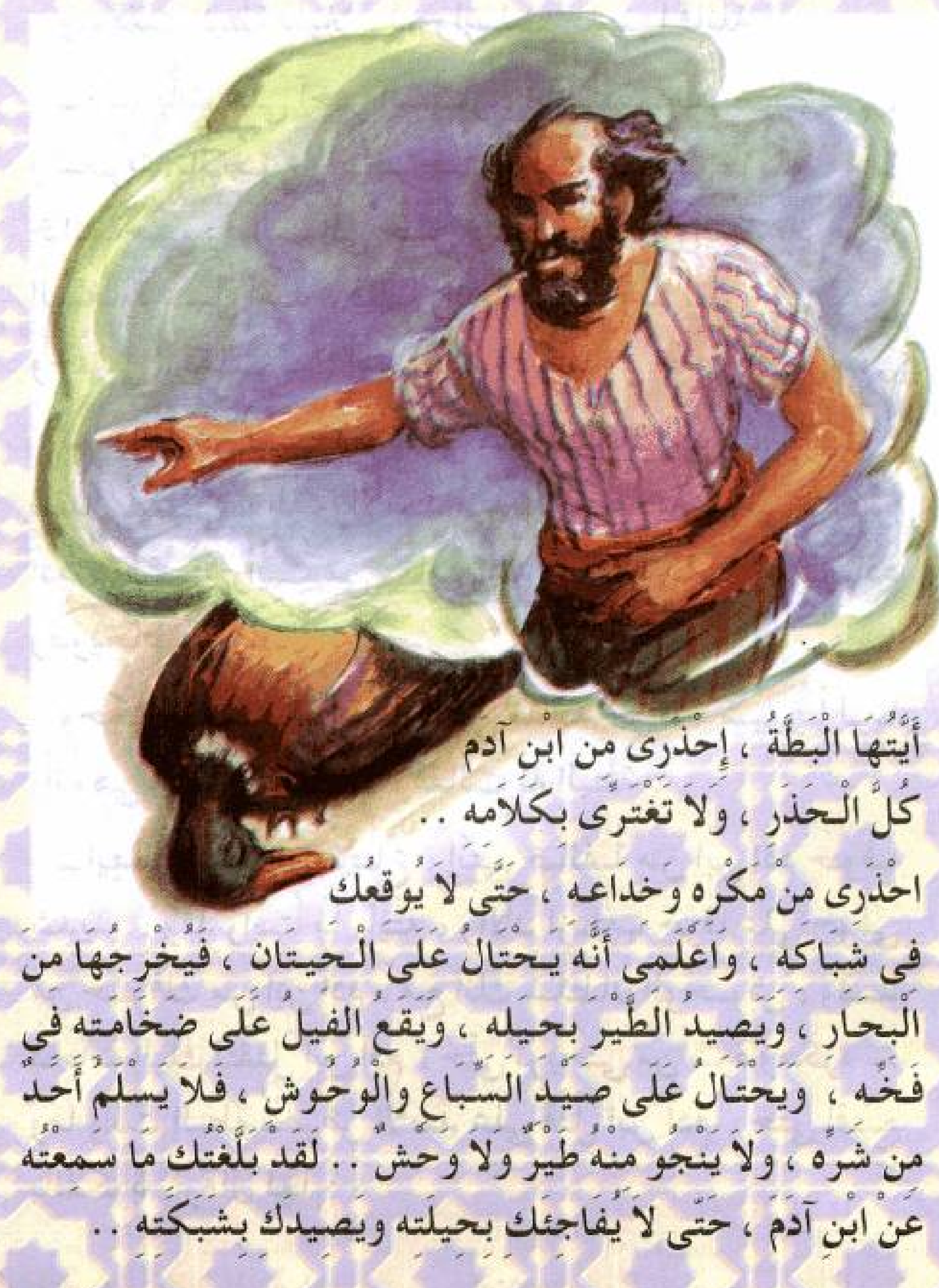
- أنتِ الآنَ فى جزيرةٍ آمنة لايصلُ إليها بنى آدمَ ، فأبشرى بذلكَ وعيشى هنا ..

وقالَت زوجةُ الطَّاووسِ مستفسرةً :

- ما الَّذى يجعلُكِ خائفةً هكذا من بنى آدمَ .؟!

فقالتْ البطَّةُ بعد أنْ هدأ روعها ، وزالَ عنها خوفها :

- لقدْ كنتُ أعيشُ طولَ عمرى فى مثلِ هذه الجزيرة آمنةً مطمئنَّةً لا أخافُ شيئاً ، حتى نمتُ ذاتَ ليلةٍ ، فرأيتُ ابنَ آدمَ فى منامى وهو يخاطبنى وأخاطبه ، وسمعتُ قائلاً يقولُ لى:



أَيَّتُهَا الْبَطَّةُ ، إِحْذَرِى من ابْنِ آدم
كُلَّ الْحَذَرِ ، ولا تغترى بكَلامه . .

احْذَرِى من مَكْرِه وخداعه ، حتَّى لا يُوقِعُكِ
فى شباكه ، واعلمى أنَّه يحتالُ على الْحيتان ، فيخرجها من
الْبحار ، ويصيدُ الطَّير بحيله ، ويقعُ الفيلُ على ضخامته فى
فَخِّه ، ويحتالُ على صيد السباعِ والْوحوش ، فلا يسلمُ أحدٌ
من شرِّه ، ولا ينجو منه طيرٌ ولا وحش . . لقد بلَّغتك ما سمعته
عن ابنِ آدمَ ، حتَّى لا يُفاجئك بحيلته ويصيدك بشبكته . .

وَتَوَقَّفَتِ الْبَطَّةُ قَلِيلاً ، ثُمَّ وَاصَلَتْ حَدِيثَهَا قَائِلَةً :

ـ وَلَمْ يَأْتِ عَلَى آخِرِ النَّهَارِ ، حَتَّى ضَعُفَتْ قُوَّتِي ، وَشَعَرْتُ بِالْجُوعِ ، فَخَرَجْتُ أَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ آكُلُه ، وَأَنَا خَائِفَةٌ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى جَبَلٍ فِيهِ مَغَارَةٌ ، وَرَأَيْتُ عَلَى بَابِ الْمَغَارَةِ شِبْلَ أَسَدٍ ، فَلَمَّا رَآنِي حَيَّانِي وَسَأَلَنِي عَنِ اسْمِي وَجِنْسِي ، فَقُلْتُ لَهُ : اسْمِي بَطَّةٌ ، وَأَنَا مِنْ جِنْسِ الطُّيُورِ ..

ثُمَّ سَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِ قُعُودِهِ فِي هَذَا الْمَكَانِ الَى هَذَا الْوَقْتِ ، فَقَالَ لِي : إِنَّ وَالِدِي الأَسَدَ مُنْذُ أَيَّامٍ وَهُوَ يُحَذِّرُنِي مِنِ ابْنِ آدَمَ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَنَامِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ صُورَةَ ابْنِ آدَمَ وَهُوَ يُخَاطِبُنِي وَأُخَاطِبُهُ ..

وَحَكَى الشِّبْلُ لِلْبَطَّةِ مَا رَآهُ فِي مَنَامِهِ ، وَكَانَ شَبِيهًا لِمَا رَأَتْهُ هِيَ أَيْضًا فِي مَنَامِهَا ، فَقَالَتْ لَهُ الْبَطَّةُ :

ـ أَيُّهَا الأَسَدُ الشُّجَاعُ ، إِنَّنِي خَائِفَةٌ مِنِ ابْنِ آدَمَ خَوْفًا شَدِيدًا ، وَقَدْ رَأَيْتُ مَا رَأَيْتَهُ ، وَالآنَ ازْدَدْتُ خَوْفًا عَلَى خَوْفِي مِنْ خَوْفِكَ مِنِ ابْنِ آدَمَ ، مَعَ أَنَّكَ سُلْطَانُ الْوُحُوشِ ، وَقَدْ لَجَأْتُ إِلَيْكَ لِتَقْتُلَ ابْنَ آدَمَ ، حَتَّى تُرِيحَنِي مِنْ شَرِّهِ وَمَكْرِهِ ..

وَمَا زَالَتِ الْبَطَّةُ تُحَرِّضُ الأَسَدَ عَلَى قَتْلِ ابْنِ آدَمَ ، حَتَّى اقْتَنَعَ بِالْفِكْرَةِ ، وَقَالَ لَهَا :



ـ قُومِي نبحثُ عنه ..

وسَارَ الأَسَدُ باحِثًا عنِ ابنِ آدمَ وخَلْفُه البَطَّةُ، فَقَابلاَ حمارًا يَجْرِى مَذْعُورًا ، فَقَالَ لَهُ الأَسَدُ :

ـ مَنْ أَنْتَ ، ولِمَاذَا تَجْرِى هكَذَا مَذْعُورًا ؟!

فَقَالَ الحمَارُ :

ـ أَنَا الحْمَارُ ، وأَجْرِى هَرَبًا مِن ابْنِ آدَمَ ..

فَقَالَ الأَسَدُ :

هَلْ تَخَافُ أَنْ يَقْتُلَكَ ابْنُ آدَمَ ؟!

فَقَالَ الحِمَارُ :

ـ لاَ أَيُّهَا الأَسَدُ ، إِنَّمَا خَوفِى أَنْ يَعْمَلَ لِى ابْنُ آدَمَ حِيلَةً وَيَرْكَبُنِى . .

فَتَعَجَّبَ الأَسَدُ وَقَالَ :

ـ وَكَيْفَ يَحْتَالُ ابنُ آدَمَ عَلَى رُكُوبِكَ . ؟ !

وَانْطَلَقَ الحِمَارُ يَشْرَحُ لَهُ قَائِلاً :

ـ إِنَّ ابنَ آدَمَ عِنْدَهُ شَىْءٌ يُسَمِّيهِ البَرْدَعَةَ يَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِى وَشَىْءٌ يُسَمِّيهِ الحِزَامَ يَشُدُّهُ عَلَى بَطْنِى ، وَشَىْءٌ يُسَمِّيهِ اللِّجَامَ يَضَعُهُ فِى فَمِى ، وَشَىْءٌ يُسَمِّيهِ المِنْخَاسَ يَنْخَسُنِى بِهِ ، وَبِذَلِكَ يَحْتَالُ عَلَىَّ وَيَرْكَبُنِى ، وَيُكَلِّفُنِى بِحَمْلِ مَالاَ أُطِيقُ مِنَ الأَحْمَالِ ، فَإِذَا تَعَثَّرْتُ شَتَمَنِى ، وَإِذَا تَبَاطَأْتُ ضَرَبَنِى ، وَإِذَا نَهَقْتُ لَعَنَنِى . . وَهَكَذَا أَقْضِى عُمْرِى فِى العَمَلِ الشَّاقِّ مَعَ القَلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ ، حَتَّى أَهْرَمَ وَأَمُوتَ ، فَيَرْمُونَ جُثَّتِى فَوقَ التِّلاَلِ لِتَأْكُلَهَا السِّبَاعُ وَالكِلاَبُ ، فَهَلْ هُنَاكَ مُصِيبَةٌ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ تَلْحَقَ بِى مِنْ ابنِ آدَمَ ؟ !

فَلَمَّا سَمِعَتْ البَطَّةُ كَلاَمَ الحِمَارِ اقْشَعَرَّ بَدَنُهَا وَزَادَ خَوْفُهَا مِن ابنِ آدَمَ ، وَقَالَتْ لِلأَسَدِ :



ـ الحمارُ معذورٌ ، وقد زادَني كَلامُه رُعبًا علَى رُعْبٍ من ابنِ آدم ..

ولَمْ تكْملُ البطَّة كَلامَها ، حتَّى ظهرَ عن بعْد جوادٌ يجرِى مَذْعوراً ، فاستوقفه الأَسَدُ قائلاً :

ـ مَا اسْمكَ أيُّها الوحْشُ المهِيب ، ولِمَاذَا تَجْرِى هكذَا مَذْعُوراً .؟!

فَقالَ الجَوادُ :

ـ أَنَا جَوادٌ يا سَيِّدَ الْوُحُوشِ ، وسَبَبُ جَرْيِى هُوَ هُرُوبِى مِنِ ابنِ آدَمَ . .

فَتعجَّبَ الأَسَدُ مِنْ كَلامِ الجوادِ وَقَالَ :

ـ عَيبٌ عَليكَ أَنْ تقولَ هَذا الكلامَ ، وأَنْتَ طويلٌ غَليظٌ . . كيفَ تَخَافُ من ابنِ آدمَ مع كِبرِ جِسْمِكَ وسُرْعَةِ جَرْيِكَ ، وأَنا برغْمِ صِغَرِ جِسْمِي قررْتُ أَنْ أُقَابِلَ ابنَ آدمَ ، فَأَبْطِشَ بِه ، وآكُلَ لَحْمَه ، حَتى أُزِيلَ خَوفَ هَذه البَطَّةِ المِسْكينةِ ، وأَجْعَلَها تعيشُ آمنَةً فى وَطَنِها ، لكنَّكَ رَعْتنى بكلامِكَ ، وجَعَلتنى أَتَراجَعُ عَمَّا قررْتُ أَنْ أَفعَلَه به وسَكَتَ الأَسَدُ قليلاً ، ثُمَّ قَالَ للجوادِ :

ـ إِذَا كُنتَ أنتَ مع عظَمِكَ وسُرعَتِكَ قَدْ قَهرَكَ ابنُ آدَمَ ولَمْ يَخَفْ من طُولِكَ وعَرْضِكَ ، مَعَ أَنَّكَ لَوْ رَفَسْتَه برِجْلِكَ لَقَتَلْتَه ، فَكَيفَ يَكونُ الحالُ معى إِذا لَقِيتُه . ؟!

فَضَحِكَ الجَوادُ وقالَ :

ـ لا يَغُرَّكَ طُولى وعَرضِى وضَخامَتى ، لأَنَّهَا لا تُجْدى شَيئًا مَعَ ابنِ آدَمَ ومَكْرِه وحِيلِه ودَهائِه . . فَهُوَ يَحْتالُ على



حَتّى يَضَعَ اللجامَ في فَمِي ، ثُمَّ يقُودَني على هواه ، وَيَركَبنِي كيفَ شاءَ ، فَيُحَمِّلُني بالأحْمَالِ ، أو يَجْعلُني أجُرُّ عَرَبَةً ، أو أدورُ في الطّاحُونَة .

وراحَ الجوادُ يَشْرَحُ للأسَدِ الحِيَلَ التى يَحْتالُ بها ابنُ آدمَ ، حتّى يسخِّرَه ويَستَغِلَّه أسوأَ استغلالٍ في أشغالِه ، فَلَمَّا سَمِعَ الأسَدُ كلامَ الجوادِ زادَ غمُّه وحُزنُه وقالَ :

ـ متى فارَقْتَ ابنَ آدمَ ؟

فَقالَ الجوادُ وهُوَ يتلفَّتُ خلْفَه فى خَوْفٍ :

ـ فارَقْتُه فى منتصَفِ النَهارِ ، وهُوَ يجرِى خَلْفِى ومُصرٌّ على الإِمْسَاكِ بى . .

ولَمْ يُتِمَّ الجَوادُ كَلامَه ، حتَى هاجَ الغُبارُ وثَارَ ، كأَنَّه عاصِفَةٌ هوجاء ، وظَهرَ جمل يجرِى مرعوبًا ، وهُو يبعْبِعُ ويُبرطِعُ ، فلمَّا رآه الأسَدُ استعدَّ لقتاله ظَنًّا منه أنَّه ابنُ آدم ، الذى يتحدَّثُونَ عَنْ قوَتِه وجبَروتِه ، ومكرِه ودهائه ، فقالت له البطَّةُ :

ـ مَهْلاً أَيُّها الأسَدُ ، فَهذا ليس ابنَ آدَمَ ، وإِنَّما هو جَمَلٌ ، ويَبْدُو أنَّه هارِبٌ من ابنِ آدَمَ ، لأَنَّ الخوفَ يَكَادُ أن يقتُلَهَ . .

فَلَمَّا سَمِعَ الجَمَلُ هَذَا الكلامَ تقدَّمَ إِلى الأَسَدِ وسَلَّمَ عليه ، فَقَالَ له الأسَدُ :

ـ ما سَبَبُ قُدُومِكَ إِلى هَذا المكانِ أيُّها الجملُ . ؟ !

فَقَالَ الجملُ :

ـ جِئْتُ هَارِبًا من ابنِ آدَمَ . .

فتعجَّبَ الأَسَدُ وقَالَ :

ـ كَيفَ تخَافُ من ابنِ آدَمَ ، وأنْتَ ضخْمٌ طويلٌ عريضٌ ، ولو رَفَسْتَه رفْسَةً برجْلِكَ لقتَلْتَه . ؟ !



فقالَ الجملُ :

ـ لا تتعجَّبْ أيُّها الأسدُ واعْلَمْ أنَّ ابنَ آدمَ ماكرٌ محتالٌ لهُ الكثيرُ منَ الدَّواهي التي لا تُطاقُ ، وأبْسطُها أنَّه يضعُ خيْطًا في أنفي ويسمِّيه حزامًا ، ويجعلُ في رقبتي حبْلًا يسمِّيه مقْودًا ثُمَّ يُسلِّمني لأصْغرِ أبْنائه ، فيجرُّني الولدُ الصَّغيرُ بالخيطِ معَ ضخامتي ، ويُحمِّلونني بأثْقلِ الأحمالِ ، ويركبونني ويسافرونَ بي الأسْفارَ الطِّوالَ . .

وراحَ الجملُ المسكينُ يقصُّ علَى الأسدِ ما يُلاقيه منْ تعبٍ ومشقَّةٍ وأهوالٍ على يدِ ابنِ آدمَ ، فزادَ خوفُ البطَّةِ والحمارِ

والـجواد ، وقالَ الأَسَدُ :

ـ فِى أى وقت فارقْتَ ابن آدم . ؟

فَقَالَ الـجَملُ وَهُو يتلَفَّتُ خلْفَه من الـخَوْف :

ـ فَارَقتُه وقت الغُروب ، وأَظنُّه قادمًا خَلْفى مصرًّا على الإمْساك بى ، فَدَعْنى أَهْربُ قَبْلَ أن يَلْحَق بِى ..

فَقَالَ الأَسَدُ :

ـ تَمَهَّل قَليلاً أيُّها الجَمَلُ ، حتَّى تَرانى وأَنا أَفْتَرِسُ ابنَ آدمَ ، وأُهَشِّمُ عظامَه ..

فَقَالَ الـجملُ نَاصحًا :

ـ أيُّها الأَسَدُ المـهيبُ أَنا خَائفٌ عَلَيك منهُ ، لأَنَّهُ مَاكرٌ مُخَادِعٌ وَلَنْ تَقْدرَ على حِيله ودَهَائه ..

فَقَالَ الأَسَدُ مُستَهينًا :

ـ سَوفَ تَرى بِعَينَيك ..

وبَيْنما هُما مَشغُولان بهذا الحديث ظَهر رجُلٌ قَصيرُ القَامَة يَحملُ فِي يده مقْطَفًا فيه (عدَّةُ) نجَّارٍ ، وعَلى كتفه أَلْوَاحًا خَشَبيَّةً ، ومعه عدة أطْفَال صِغَار يَحْمل كُلٌّ منهم لَوْحًا خَشَبيًا ، فَلَمَّا رأَتْه الْبَطَّةُ زَادَتْ خَوفًا عَلى خَوفِها ، واعْتَرض الأسَدُ طَرِيقَهُ ، فَضَحكَ النَّجَارُ فى وجْهه وقَالَ :



ـ أيُّها الملكُ الجليلُ و صاحبُ الباعِ الطَّويلِ ، أسْعد اللَّه مَساءَكَ ومَسْعَاك ، وزَادَ في شَجاعَتِك وقوَاك ، أَجِرْني ممّا دهاني ، وبشره رماني ، لأنّي ما وجدْتُ لي نصيراً غيرك . .

ثُمَّ وقفَ النَّجارُ بين يديْ الأَسد ، فبَكى واشتكى ، فلَمّا سمِعَ الأسدُ بكاءه رَقَّ لحاله وقالَ له :

ـ لقدْ أجرْتُك ممّا تخْشاهُ ، فمن تكُونُ أيُّها الوحْشُ ، وما شأْنك ، ومنْ هُو الذي ظلَمك . ؟!

فَقالَ لَه النَّجارُ :

ـ أنَا نَجّارٌ ، والذى ظَلَمنى هو ابنُ آدمَ .. لقد تركْتُه قادماً خلفى ، وفِى صَباحِ هَذه الليلَة يَصِلُ إليك فِى هذا المكان ..

فَصاحَ الأسَدُ فى غَضَب :

ـ لَنْ أَنْتقِلَ مِنْ هُنا حتى أُلاقيه وأَقْضِى عليه ، ولكِنْ إلى أين أنتَ ذَاهِبٌ بِهذا الخشبِ أيُّها النجارُ الطيب ..؟!

فقالَ النجَّارُ فِى دَهاء :

ـ لَقَدْ عَلِمَ النَّمرُ بقدومِ ابنِ آدمَ ، فأَرْسَلَ إِلىَّ لأَذْهَبَ إِليه ، حَتّى أصنعَ له بيتاً يحتمى فيه مِنْ عدوِّه ، وأنا ذاهبٌ لأصنع له ذلك البيتَ ..

فلمَّا سَمعَ الأسَدُ كلامَ النجارِ أخذه الحَسَدُ من النمرِ وقالَ :

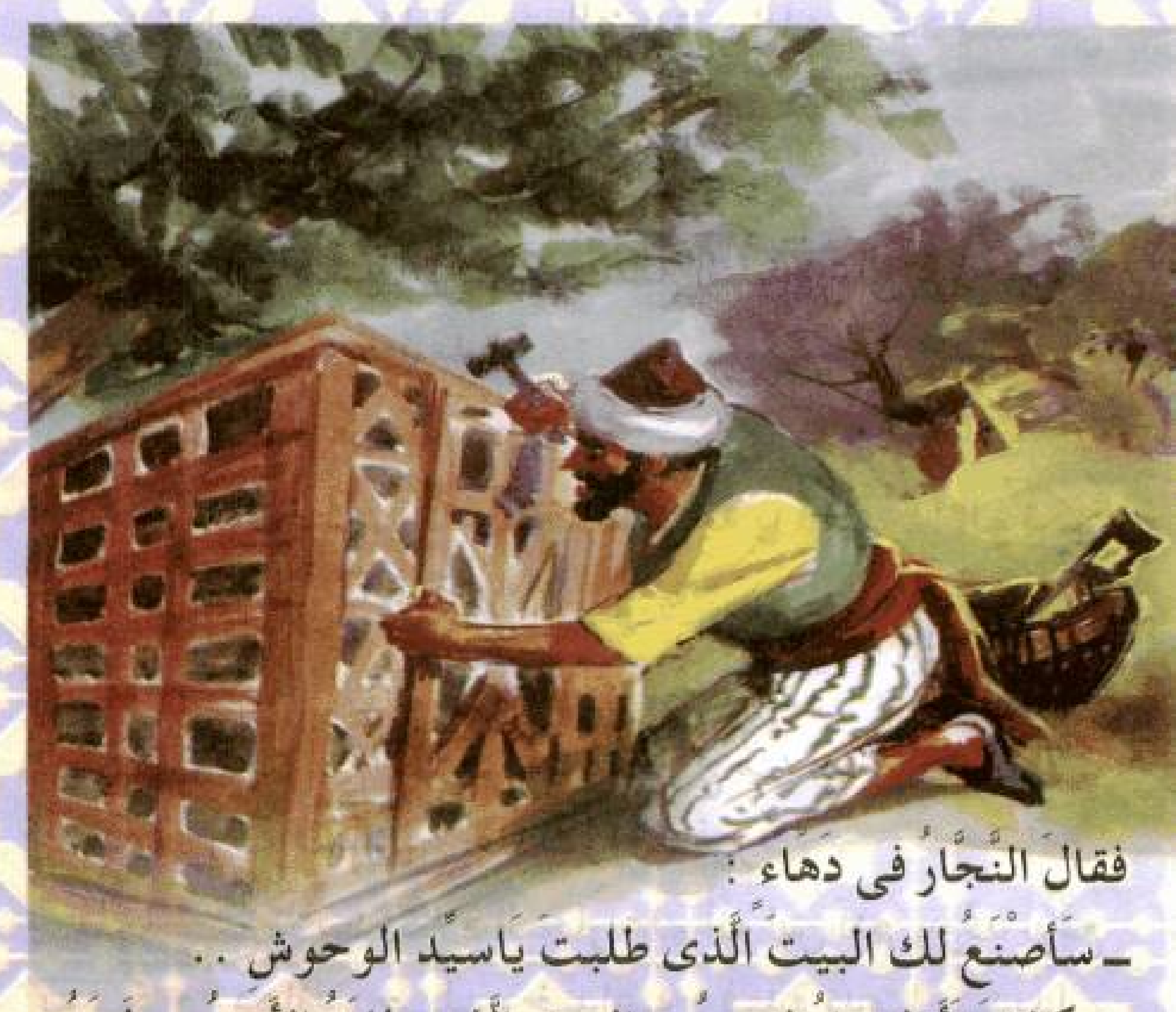
ـ اصْنَعْ لِى أنا أوَّلاً بيتاً مِنْ هذه الألواحِ ، ثُمَّ اذهبْ إِلى النمرِ واصْنَعْ له ما يَشاءُ ..

فقالَ النَّجارُ :

ـ دَعْنى أذْهَبُ للنَّمرِ أوَّلاً ، فإِذا فرَغْتُ مِن بيْتِه عُدْتُ إليك وصَنَعْتُ لَكَ البيتَ الذى تحبُّ ..

فَاعترضَ الأَسَدُ طريقه قَائِلاً فى غضب :

ـ لن أدعَك تمرُّ من هُنا حتّى تصْنَعَ لى بيْتاً ، وإلاَّ قتلْتُك ..



فقالَ النَّجَّارُ فى دَهاء :

ـ سَأَصْنَعُ لكَ البيتَ الَّذى طلبتَ ياسيِّدَ الوحوش ..

وهكذا بَدَأَ النجارُ فى صُنعِ البيتِ الَّذى طلبَهُ الأسدُ ، ولَيتَهُ ماطَلَب ..

صَنَعَ النَّجَّارُ صُنْدوقًا منَ الخشَبِ يسَعُ الأَسَدَ مَحْشورًا فيه بالقوَّة ، وجَعَلَ بابَه مفتوحًا ، ثمَّ قالَ للأَسَد :

ـ ادخُلْ لتُجَرِّبَ بيْتَكَ الجديد ..

وبمُجَرَّدِ أن حَشَرَ الأَسَدُ نفسَه داخلَ الصُّندوق ، أَغْلَقَ النجَّارُ البابَ عليه ،ودقَّه بالمَسَاميرِ ، فَقالَ الأَسَدُ من الدَّاخلِ :

ـ يا نجّارُ ، ما هَذا البيتُ الضيقُ ، الّذى يكادُ يقتلُنى بداخله ؟! دَعْنى أَخْرجْ منه ..

فَضَحِكَ النَّجّارُ وقَالَ ساخرًا :

ـ هيهات هيهات .. لا يَنْفَعُ النَّدمُ عَلى ما فَاتَ ، ولا يُغْنى الحَذَرُ من القَدَرِ ..

فقالَ الأَسَدُ متعجبًا :

ـ ماهَذا الخطابُ الّذى تُخاطبُنى بِه يا أَخِى ؟! أَلَمْ تَكُن تَسْتجيرُ بى مُنْذُ قَلِيل .؟!

قَالَ النَّجّارُ :

ـ لقد وَقَعتَ فى القَفَصِ وَلَنْ تَخْرُجَ منه أبدًا .. أَنْتَ الآنَ صَيدى ، وسَوفَ أَسْلُخُ جِلْدَكَ وآخذُ فروكَ ..

فَلَمَّا سَمعَ الأسدُ كلامَ النجارِ عَلمَ أنَّه ابنُ آدمَ ، وقد أَوْقَعَ به بمكره ودهائه وحيله وخداعه ، فَنَدم ندمًا شَديدًا ، وَلَكن ماذا ينفعُ النَّدمُ بعدَ ضَياعِ الأَجَلِ .؟!

(تمت)

رقم الإيداع : ١٩١٧ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولى : ٦ ـ ٠٢٣ ـ ٣٧٨ ـ ٩٧٧